



في معظم الطرق الملوثة والمنحدرات القوية توجد لافتة مكتوب عليها 'طريق للهرب'، هذا الطريق يستخدم عندما ترتفع درجة حرارة الكوابح ويفقد السائق سيطرته على مركبته فيدخل في هذا الطريق الجانبي مرغماً كي ينقذ روحه وأرواح الآخرين، هذا في حال كان يقظاً وأدرك قبل فوات الأوان أن الدخول في هذا الطريق هو الأسلم وأقل خطورة من الاستمرار في المنحدر بتسارع حتى حصول الارتطام الكبير أو الانقلاب والاحتراق في كثير من الأحيان.

الأسد يلتفت حوله الآن بحثاً عن 'مسار للهرب' بعدها سخنت الكوابح وتلتفت تماماً واشتعلت النيران في مركبته، هذا المسار يسميه البعض 'المخرج المشرف'، ولكن هل يمكن تسمية خروجه خروجاً مشرفاً لو حصل الآن. كان يمكن لخروجه أو تخييه أن يكون مشرفاً لو أنه وقف بعد سقوط أول موجة من القتلى واعترف بأن رياح الربيع قد هبت ووصلت إلى سوريا، وفهم أن الأمور ما عاد يمكن لها أن تدار بالطريقة القديمة ذاتها، ولو أنه لم يغمض عينيه ولم يملأ أدنيه طينا ولم يبحث عن مخارج إنسانية لغوية بدلاً من البحث عن حل حقيقي واقعي لأزمة ماثلة أمامه بكل وضوح،

كان عليه أن يقول لشعبه 'أنا فهمتكم' على طريقة بن علي وأن لا يؤجل مثله بل يتنازل فوراً عن 'العرش الجمهوري' وأن لا ينتظر حتى يضطر للبحث عن مسلك للهرب، لكنه للأسف فضل البحث في الإنشاء والشعارات التي اعتادها طيلة فترة حكمه حتى صدق أنه بإمكان الإنشاء والشعارات أن تخفي الواقع، فانشغل رجاله في البحث الإنساني عن مسميات أخرى للثورة، وكان تسميتها باسم غير الثورة يلغى ثوريتها، متناسين أن الاسم يشتق من الفعل وليس العكس، ولو أطلقوا على الثورة تسمية 'سطو مسلح' لبقيت ثورة لأنها ثورة، والحقيقة أنهم أبدعوا في تسمياتهم البذيئة الكثيرة للثورة والثوار، ولكن الحقيقة

بقيت ماثلة أمام العالم بأسره، وهي أن الثوار هم الثوار حتى لو أطلقت عليهم تسمية مندسين ومرتزقة وجراثيم! كان عليه أن يتنازل عن الأمل السادي بقدرته على قمع الشعب، وأن لا يبني كثيراً على قدرة التسميات في إنقاذه مثل الخيانة والاندساس والقبض من جهات خارجية مشبوهة، وسخافات أخرى أكثر تسطيحاً حتى من الإنشاء مثل توزيع الكتاب والدولارات على المتظاهرين.

لقد حاول النظام حرف المعركة عن ساحتها الحقيقة، من معركة بين نظام دكتاتوري قمعي ظالم مستبد وبين شعب لم يعد قادرًا على التحمل والصمت إلى معركة وهمية بين النظام والشعب الملتئف حول قيادته وبين الفضائيات، وتوهم بقدرته على إقناع العالم بأن الناس في سوريا يخرجون للموت في الشوارع إرضاء لفضائيات التخريبية، والتخريب لغة إنسانية قديمة استخدمها المستعمرون والمحليون على مر العصور وأخرهم إسرائيل في وصف أعمال الثوار من العرب وغير العرب، ولم نتصور في يوم من الأيام أن يستخدمها نظام 'ممانع' في وصف انتفاضة أبناء شعبه، ومن ثم تحويل المعركة الأساسية وحرفها لتصبح بين النظام 'الممانع' وحلفائه من جهة وبين أمريكا وإسرائيل وذريولهما من العرب وغير العرب والمغاربة والخونة من جهة أخرى، كل هذا لدفع الثوار إلى خانة الأعداء بدلاً من تفهم أسباب ثورتهم المشروعة والتحي ب بصورة مشرفة.

كان عليه أن يفهم ضرورة الهروب إلى طريق النجاة قبل اتخاذ القرار بقصف المدن السورية والتعامل معها كأنها مدن معادية، بمعنى الدوس أكثر على دواسة الوقود في المنحدر الخطير.

كان عليه أن يستوعب ضرورة ما يجري وأن يصدق بأنها ثورة جنورها الفقر والقمع حتى قبل انتقالها إلى العاصمتين الاقتصادية والسياسية.

كان عليه أن يخرج إلى 'مسلك الهروب' فيعتذر عمّا فعل، وأن يدعو لإعادة النظر بنفسه وبالمحيطين به وليس كضررية كلامية وبهلوانيات لفظية قبل أن تتحول الثورة إلى السلاح لحماية نفسها من بطش النظام ودمويته، كان عليه أن يفهم أن العمالقين الصيني والروسي قد يحميانه من هجوم خارجي أو قرار في مجلس الأمن، ولكنهما غير قادرين على حمايته من شعبه الجائع للحرية والخبز...

كان عليه أن يفهم ويدرك أن هناك قوى معادية سوف تستغل هذه الثورة وتحاول الركوب عليها تحت شعار حماية مذهب من بطش مذهب آخر لحرفها عن مسارها الأصيل، لقد كان تصرف النظام حقيرًا، بل حقيراً جدًا عندما صور الأكثريه من أبناء شعبه على أنهم 'قاعدة' وطائفيون ينونون البطش بالأقليات وذلك لتأليب الرأي العام المحلي والعربي والدولي على الثورة. تضحيات الشعب والثوار باهظة جداً، وكذلك تضحيات مؤيدي النظام من توهموا بقدرته على تجاوز هذه المرحلة بالإنشاء والمماطلة حتى إنهائها اللفظي على أمل أن تنتهي فعلاً بتعبير مثل 'خلصت خلصت'، ومن أولئك الذين لم يكن أمامهم سوى خيارات إما الإعدام أو مواصلة الانصياع لأوامر النظام وضباطه حتى بدأت تظهر الانشقاقات الكبيرة وبأوزان ثقيلة..

لم يعد هناك أي مخرج مشرف للأسد ونظامه، ويوماً بعد يوم يتفاقم حجم المأساة التي صنعوا بيده، بل ليته تعلم من بن على وحسني مبارك وعلى عبد الله الصالح الذين خرجموا بشكل أو باخر أقل بهدلة، فهو إن تنازل الآن إنما يتنازل بعد أنهار من الدماء، وبعد أن ضاق به ذرعاً حتى أقرب حلفائه، فمصالح أصدقائه في نهاية المطاف مع الشعب وليس مع النظام السوري.

هناك عشرات الفيديوهات والصور التي تدين أعمال بعض رجال الجيش الحر والثوار، بعضها حقيقي ومستنكر ولا يحق لثوار لأي سبب كان أن يفعلوه وبعضاً أنتج خصيصاً لتشويه وجه الثورة، ولكن رغم كل وحشية ما يرتكب لا توجد فضيحة أعظم من بقاء بشار الأسد ومن حوله من رجال النظام في السلطة بعد كل هذه التضحيات، لأنهم هم المسؤولون عن كل ما مرت به سوريا من أحداث كارثية منذ اليوم الأول للثورة وحتى هذه اللحظة، ليس أمامهم سوى الرحيل غير

المشرف، والإنشاء عن 'الرحيل المشرف' قد يكون لغة دبلوماسية ولكنه لن ين嗔هم، لأن التاريخ يسجل الواقع وليس الإنشاء، وسيذكرهم مجرمين وسفاحين، وعليهم الرحيل غير المشرف لإتاحة المجال لكل مركبات الشعب السوري دون تجاهل أي حزب أو حركة أو طائفة للتحاول للتوصل إلى طريقة ين嗔ون بها البلد من الدمار الذي بدأ وما زال النظام مستمراً به.

المصدر: القدس العربي

المصادر: